المحاضرة الخامسة: إطار مفاهيمي حول الفساد المالي والإداري

مقدمة:

لا ترتبط ظاهرة الفساد المالي والإداري بفترة تاريخية معينة أو بقطر محدد؛ فهي تأخذ أشكالا متغيرة بتغير الفترات التاريخية ومتنوعة بتنوّع الأمم، فهي إذن ليست من الأمراض التي استحدثها هذا العصر بل هي ظاهرة اجتماعية تدبّ في المجتمعات التي تبلغ نضجها الحضاري، ولقد عانت منه كل الحضارات السابقة.

1- تعريف الفساد:

أ. لغة:

مِن فسَدَ يَفسُد ويفسِد، فَسَادًا وفُسودًا، ضِدّ صَلُحَ، والمِفْسَدَة: خلاف المصْلَحة، والفَسادُ: أَخْذُ المالِ ظُلْما، ويأخذ معنى الجَدْب والقحط وقطع الأرحام. كما يأخذ معنى: التَّلَف والعَطَب والاضطراب والخلل. وفَسَدَتْ أَخْلاَقُهُ: انْحَلَّتْ وانْحَرَفَتْ. وفَسَدَ العَقْدُ: بَطَل.

ب. اصطلاحا:

تتعدد التعريفات الاصطلاحية لكلمة الفساد وتختلف من مجال لآخر وهي في مجملها تعني:

ب-1. في الشرع الإسلامي: مخالفة الشرع والخروج عن الاعتدال، وتعني جميع المحرمات والمكروهات شرعا.

ب-2. في الجانب الأخلاقي: كل سلوك منحرف يمثل خروجا عن القواعد القائمة سواء الموروثة أو الموضوعة، بهدف تحقيق مصلحة خاصة.

ب-3. في الجانب الإداري والمالي:

* إساءة استعمال السلطة التي اؤتُمِن عليها الشخص لتحقيق مصالح شخصية.

* سلوك وظيفي سيء ومنحرف يترتب عليه ارتكاب مخالفات ضد القوانين والتعليمات النافذة والأخلاق المهنية داخل الجهاز الإداري والحكومي، لتحقيق أهداف خاصة كالأطماع المالية والمكاسب الاجتماعية.

2- الفساد من منظور الإسلام:

جاء الدين الإسلامي الحنيف بالأسس العامة التي تسهم في محاربة الفساد، من خلال تعزيز ونشر الأخلاق الحميدة وترسيخ القيم الفاضلة، مؤكدا على أن هذه الأخلاقيات هي بمثابة مبدإٍ لتقويم سلوكيات الأفراد والمجتمعات، والقضاء على كل مظاهر الفساد الأخلاقية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية..، ولهذا فإن الإسلام يعمل على

تقوية الوزاع الديني لدى كل أفراد المجتمع حتى يكون محفّزا لمنع المرء من ممارسة الفساد وارتكاب جرائمه. وقد ورد الفعل "فَسَد" ومشتقاته في أكثر من خمسين (50) موضعا من القرآن الكريم جميعها تحذّر وتنهى عنه، ويراد بها معاني عديدة، نذكر منها:

• **الكفر والنفاق والعمل بالمعصية:** لأن من عصى الله أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض، وذلك في قوله تعالى: (**وإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**) -البقرة 11-، فالإفساد في الأرض: العمل فيها بما نهى الله جل ثناؤه، وتضييع ما أمر بحفظه، وإفساد المنافقين في أرض الله بإظهارهم للإيمان وإبطانهم للكفر، وشكّهم في دين الله وتكذيبه ومناصرة أهل الكفر والشرك على أولياء الله.

• **القحط والجدب:** وانقطاع المطر ونقص الثمار والزروع، لقوله تعالى: (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**) -الروم 41-، أي بان النقص والثمار والزروع بسبب المعاصي، وقيل فساد البرّ: قتلُ ابن آدم، وفساد البَرّ: أخذ السفينة غصبا.

• **الهلاك والخراب:** لقوله تعالى: (**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ**) – الأنبياء 22-، ومعنى "لَفَسَدَتا": أي لَخَرِبَتا السماوات والأرض وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر من اثنين فأكثر لم يَجْرِ على النظام، ويدخل في هذا المعنى قوله تعالى: (**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ**) -النمل 34- أي خرّبوها.

• **السحر:** لقوله تعالى: (**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ**) -يونس 81-، ويعني بالمفسدين: السحَرة.

• **المنكر والشرّ:** لقوله تعالى: (**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ**) -هود 116-، أي فهلّا وُجِد من القرون الماضية -الذين أهلكتهم بمعصيتهم إيّاي، وكفرهم برسلي- بقايا من أهل الخير ينهون عمّا كان يقع بينهم من المنكر والشرور.

• **إضلال الناس:** لقوله تعالى مخاطِبا فرعون وقد أَعلن إيمانه بعد أن أدركَه الغرق: (**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) -يونس 91-، أي: المفسدين في الأرض الذين أضلوا الناس عن عبادة الله عز وجل.

• **قطع الطريق:** لقوله تعالى على لسان هود -عليه السلام-: (**وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**) -هود 85-، فنهاهم عن السعي في الأرض بالفساد لأنهم كانوا يقطعون الطريق.

• **سفك الدماء:** في قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**) -البقرة 30-، فقرن الفساد بسفك الدماء.

• **الجَوْر والطغيان والأذى:** لقوله تعالى: (**وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (10) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (11) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (12)**) – الفجر-، أي تمرّدوا وعتَوا وتجاوزوا القدر في الظلم والعدوان.

• **قطع الأرحام:** لقوله تعالى: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**) -محمد 22-، أي تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام.

• **الصد عن سبيل الله وتكذيب الرسل:** لقوله تعالى: (**ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**) -الأعراف 103-، أي الذين صدوا عن سبيل الله وكذبوا رسله.

وأيّاً كان الأمر فقد اشتركت كل هذه المواطن والمواضع في التحذير من الفساد والمفسدين وفي إنكار سلوكياتهم وأفكارهم على تنوع في أساليب الدلالة على ذلك.

3- أسباب الفساد من منظور الإسلام:

– ضعف أو انعدام الوازع الديني في النفس البشرية: فمن أعرض عن طاعة الله انغمس في الفساد بأنواعه دون رادع أو إيمان أو خوف من الله يمنعه.

– غريزة حب الشهوات: لقوله تعالى: (**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**) – آل عمران 14-.

– وسوسة الشيطان: لقوله تعالى: (**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**) -فاطر 6-، فالشيطان يدعو أصحابه إلى ارتكاب المعاصي ليسوقهم إلى النار.

– الحسد: قد يكون الفساد ناشئا عن الحسد، فهو إن أصاب النفس الإنسانية أشقاها وجعلها مصدر أذى للآخرين.

– قرناء السوء.